(١٠)

الغزالي.. رجل المواقف

الغزالي.. رجل المواقف

للغزالي مزايا كثيرة، ومن مميزاته المعروفة: أنه رجل موقف.

ومواقف الغزالي في حياته كثيرة. أعني المواقف التي يقف فيها عند رأيه متشبثاً به مدافعاً عنه، مهما يكلفه ذلك من تضحية ومكابدات، على نحو ما قال شوقي:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إن الحياة عقيدة وجهاد!

ولقد أشرت إلى موقف الغزالي عندما ذهبنا إلى معتقل الطور، ووجد القادة المسؤولين عن المعتقلين يسرقون أقواتهم، ولا يعطونهم إلا الفتات، فخطب الشيخ، وقاد مسيرة بعد صلاة الجمعة، تهتف بسقوط (لصوص التجويع)، وتلعن (اللصوصية المنظمة)، مما أدى إلى مفاوضات مع المعتقلين انتهت بتسليمهم مستحقاتهم (جافة)، وهم يتولون طهيها وتهيئتها.

المؤتمر القومي العام

ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه في المؤتمر القومي العام الذي عقد في القاهرة أيام عبد الناصر، في أوائل الستينات، ووقوف الشيخ يدعو صراحة إلى وجوب التحرر من الاستعمار التشريعي، بالرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وعرج الشيخ في نهاية كلمته على ضرورة التخلص من التقليد والتبعية في الأزياء، وأن يكون للأمة أزياؤها الخاصة بها، سواء ما يتعلق بالرجال أو النساء، وضرورة

عودة المرأة المسلمة إلى الاحتشام، وهو ما أثار العلمانيين عامة والماركسيين خاصة وهاجموا الشيخ، ولكن الشيخ لم يبال بهذا الهجوم، وثبت على موقفه كالطود الأشم، وانتصرت له الجماهير.

قانون الأحوال الشخصية

ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه من قانون الأحوال الشخصية، الذي يعرف عند المصريين بـ (قانون السيدة جيهان)، يقصدون قرينة الرئيس الراحل أنور السادات، التي كانت متحمسة له، وقد هاجمه الشيخ في قاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر وصفقت له الجماهير؛ ووقفت بجانبه.

وكان موقف الشيخ في هذه القضية مماثلاً لموقف شيخنا الدكتور عبد الحليم محمود ــ الإمام الأكبر شيخ الأزهر ــ ولذا سقط القانون أو قل جمّد في عهده، ثم وجد من الشيوخ ــ للأسف الشديد ــ من أجازوه!

موقف في الجزائر

ومن المواقف التي تذكر الشيخ: موقفه في (ملتقى الفكر الإسلامي) في الجزائر في أواخر الثمانينات، عندما وقف صديقنا الدكتور سعيد رمضان البوطي ــ الداعية الإسلامي المعروف ــ يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالتربية والتوجيه، وترك السياسة لأربابها، ويكفي الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم، وآفات السياسة.. إلى آخر ما قال ــ غفر الله لنا وله ــ حول هذا الموضوع، مما أثار الحاضرين في الملتقى وأقلقهم.

وكان الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد حاضراً في ذلك الوقت، وشعر المشاركون بالحرج، وهنا طلب الشيخ الغزالي الكلمة، وصعد إلى المنصة، وأثنى على صديقه الشيخ البوطي، ولكنه خطَّأه في توجهه، وإن العالِم المسلم لا يسعه

أن يسكت عن باطل، أو يغمض عن ظلم أو يتغاضى عن المنكرات من حوله، وأكبرها تعطيل الحكم بما أنزل الله، وأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الحكم والعلم، وأن المسلمين إنما أصيبوا وهزموا يوم فصلوا بين الأمرين.. إلى آخر ما قال ــ حفظه الله ورعاه ــ .

وبذلك وضع الشيخ الحق في نصابه، وأتى الأمر من بابه، واستراح الجميع لتعليق الشيخ، ومنهم ابن جديد نفسه، وقد ذكر الشيخ له موقفاً في أيام الجهاد، دلل به على أهمية الدين وضرورة الإيمان للسياسة وللجهاد.

لم أكن حاضراً في ذلك الملتقى، ولكن نقله إليّ الإخوة الحضور، كما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) في حينه.

الشهادة في مقتل فرج فوده

ومن أخطر المواقف وأحدثها للشيخ هو موقف (الشهادة) الأخيرة في محكمة أمن الدولة، في قضية مقتل الدكتور فرج فوده، تلك الشهادة التي أحدثت دوياً، بل زلزالاً في دنيا السياسة وعالم الفكر والثقافة، وتناولتها الأقلام المختلفة بالتعقيب ما بين مؤيد ومنكر ومتوقف.

لقد طلبت المحكمة حضور الشيخ، بناء على طلب دفاع المتهمين، ليجيب عن أسئلة معينة وجهها إليه الدفاع[1].

والمحكمة استدعت الشاهد فسألته بالآتي، فأجاب: اسمي محمد الغزالي أحمد السقا، وسني ٧٦ سنة، وأعمل عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ومقيم بالدقي ١٠ ش قمبيز بميدان الدكتور سليمان ــ وحلف اليمين.

---

(١) ننقل شهادة الشيخ هنا كما سجلها حرفياً كتاب الأستاذ أحمد السيوفي (محاكمة المرتدين) وكذلك التعليقات عليها.

س: ما معلوماتك؟

ج: أنا مستدعى من قبل الدفاع بناء على طلب المحكمة استجابة لطلب الدفاع.

س من الدفاع: هل الإسلام دين ودولة؟ وما معنى هذه المقولة؟

ج: الإسلام عقيدة وشريعة، وعبادات ومعاملات، وإيمان ونظام ودين ودولة.. ومعنى هذه المقولة ذكرته الآية الشريفة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

فالإسلام دين شامل منذ بدأ من خمسة عشر قرناً، وهو دين ودولة لم تنفصل فيه السلطة الزمنية عن المعاني الروحية، وقد جاءت النصوص متشابهة في إيجابها لشتى الأركان، فمثلاً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]،

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وجاءت هذه الأقوال في عبادة جنائية كالقصاص، وفي عبادة شخصية كالصيام، وفي عبادة دولية كالقتال. فالعبارة واحدة وإن اختلفت اتجاهات التشريع، ومعروف أن أطول آية في القرآن هي التي نزلت في الدين وهي عبادة اقتصادية، والتي تبدأ آياتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وبالإحصاء والاستقراء نجد أن الإسلام دين للفرد والمجتمع والدولة، وأنه لم يترك شيئاً إلا وتحدث فيه، ما دام هذا الشيء يتصل بنظام الحياة وشؤون الناس.

س من الدفاع: هل تطبيق الشريعة الإسلامية فريضة واجبة؟

ج : أدع الإجابة عن هذا السؤال للقرآن نفسه، فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]،

وقوله في آية أخرى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

س من الدفاع: ما حكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحوداً أو استهزاءً؟

ج : الشريعة الإسلامية كانت تحكم العالم العربي والإسلامي كله حتى دخل الاستعمار العالمي الصليبي ــ وكرهه للإسلام واضح ــ فألغى أحكام الشريعة الإسلامية، وأنواع القصاص، وأنواع التعزير، وأنواع الحدود، وحكم الناس بالهوى فيما يشاؤون. وقد صحب الاستعمار العسكري استعمار ثقافي مهمته جعل الناس يطمئنون إلى ضياع شريعتهم وإلى تعطيل أحكام الله دون أن يتبرموا، وأنا كأي مسلم أقرأ قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾ [النور: ٢] أجد الآية مقلوبة في المجتمع، وأجد القانون يقول: إذا اتفق شخصان بإرادة حرة على مواقعة هذه الجريمة فلا جريمة، وقد تسمى حباً وتسمى عشقاً. ولكن نص الشريعة عُطل وروح الشريعة أُزهقت.. فكيف يقبل مسلم هذا الكلام أو يستريح لهذا الوضع، وبالتالي كيف يسخرون مني إذا قلت يجب إقامة الشريعة؟ وأعرف أناساً كثيرين يرون تعطيل الشريعة، ويجادلون في صلاحيتها، ويثبتون حكم الإعدام الذي أصدرته الحكومات الأجنبية أو الاستعمار العالمي على هذه الشريعة التي شرفنا الله بها. إنهم يعدمونها إعداماً ويريدون تثبيت هذا الإعدام، ويجادلوننا باستهزاء أحياناً في صلاحية الشريعة للتنفيذ. هذا كما قلت وكما قال الله تعالى، وليس بمؤمن يقيناً من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحداً أو استهزاء.

بل كما قال الله تعالى في وصف هؤلاء الناس في قوله تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ويعرف الإنسان أنه منافق من رفض حكم الله. وقد قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النور: ٤٧]، ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النور: ٤٨ ــ ٥٠].

س من الدفاع: ما حكم من يدعو إلى استبدال حكم الله بشريعة وضعية تحل الحرام وتحرم الحلال؟

ج: ليس هذا بمسلم يقيناً: يقول الله تعالى في هؤلاء: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٠].

س: هل يعتبر هذا العمل عملاً كفرياً يُخرج صاحبه من الملَّة؟

ج: نعم، فمن رفض الحكم بما أنزل الله جحداً واستهزاءً هو بلا شك يخرج من الملة.

س من الدفاع: فما حكم المسلم الذي يأتي هذا الفعل الكفري أو القول الكفري عن تعمد وعلم بمعانيه ومراميه؟

ج: مهمتي الشخصية هي أن أشرح له كعالم وأدحض شبهاته وأبين له الحقيقية. وليست مهمتي كداعية إلى الله أن ألتمس العيوب للناس، ولست أفرح بإيقاع أقدامهم في الحبائل والشباك.. وإنما أنا طبيب أعالج المرضى، وأريد أن أنقذهم من الجراثيم التي تفتك بهم. فإذا كان عنيداً يرفض كل ما أقول، ويأبى إلا تكذيب الله ورسوله، فلا أستطيع أن أقوله إنه مؤمن.

س من الدفاع: هل يصح لإنسان نطق بالشهادتين الادعاء بالإسلام مع المجاهرة ورفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوى إلى استبدال شرع الله بشرائع الطواغيت من البشر؟

ج : أولاً يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨]، بل إن بعض الناس كان يحلف أنه مؤمن ولكن ميله للكفار وجبنه عن مقاتلتهم والدفاع عن الإسلام نفى الدين عنه، قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧]، ومعنى الآية أن قولهم مؤمنون مع تكذيب أعمالهم لهم لا يقبل، والإيمان باتفاق العلماء قول وعقيدة وعمل. ثم ألفت النظر إلى أن ديننا اسمه الإسلام.. أي الخضوع لله، ومعنى ذلك أن إبليس كان يعلم أن الله حق ويجادله.. فرفض الأمر والنهي يخرج الإنسان عن الملة.

س من الدفاع: هل يعتبر من يأتي هذه الأفعال الكفرية، والأقوال الكفرية مبدلاً لدينه مفارقاً للجماعة؟

ج : نعم يعتبر مرتداً عن الإسلام.

س من الدفاع: ما حكم هذا المرتد شرعاً؟

ج : حكم المرتد في الشريعة واضح، وأنا لي رأي خاص. فالرأي العام في الإسلام أنه مخطىء، وأن الارتداد قد تكون له أسباب، فيمكن أن يكون لإنسان شُبهة ولا يحسن فهم الدليل.. فأنا مهمتي كشف الشبهة وبيان الدليل. وقد يرى الحاكم بدل أن يقتل أن يسجن مؤبداً لأمر ما. وعندما كان الجدال بين النبي وزعماء مكة في صلح الحديبية فقد عرض أمر على الرسول. وقد انتهى الرسول إلى أن من ترك المدينة وجاء لمكة لا يمنعه الرسول، ومن ترك مكة وذهب إلى المدينة يمنعه الرسول، وقد سأل الصحابة الرسول في ذلك فقال لهم: «شر وأريد

أن أبعده عنكم». ورأيي الخاص لو أن واحداً من الناس ارتد لا أتعقبه، لكن بقاءه في المجتمع جرثومة ينفث سمومه ويحض الناس على ترك الإسلام، فيجب على الحاكم أن يقتله.

س من الدفاع: قررتم فضيلتكم أنه قد يكون صاحب القولة الكفرية لديه شبهة أو لم تبلغه الحجة، فماذا إذا بلغته الحجة؟

ج: هذا ككفر الفراعنة.. جحدوا وجود الله وعصوا موسى، وهذا يكون ارتداداً صريحاً حاسماً.

س من الدفاع: من الذي يملك إيقاع الحد على المرتد المستوجب قتله؟

ج: المفروض أن جهاز القضاء هو الذي يقوم بهذه المهمة، فهو الذي يقيم الحدود ويقيم التعازير ويحكم بالقصاص، ولا يكون ذلك لآحاد الناس حتى لا تكون فوضى.

س من الدفاع: فماذا لو كان القانون لا يعاقب على الردة والقضاء لا يوقع الحدود؟

ج: هذا عيب القضاء وعيب المسؤولين عنه والقانون معيب.

س من الدفاع: ماذا لو أن القانون المطبق لا يعاقب.. هل يبقى الحد على أصله من وجوب الإيقاع؟

ج: حكم الله لا يلغيه أحد.. والحد واجب الإيقاع.

س من الدفاع: ماذا لو أوقعه فرد من آحاد الأمة، وهل يعتبر مرتكباً جريمة أو مفتئتاً على السلطة؟

ج: أنا لا أذكر أن له عقوبة في الإسلام.

س من المحكمة: هل لديك أقوال أخرى؟

ج: لا.

تمت أقواله. ووقع (محمد الغزالي).

أثر شهادة الشيخ في الحياة العامة

زلزلت الأرض زلزالها بعد شهادة الشيخ؛ لمكانته المرموقة في مصر والعالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله، وثارت ثائرة خصوم الفكر الإسلامي، وأعداء الحل الإسلامي، وكل الحاقدين على الإسلام، والخائفين منه، والمبغضين له، وتكالبت الأقلام المسعورة والمأجورة على الشيخ الجليل، وانتهزها الشيوعيون المهزومون، والمتغربون المقهورون، والعلمانيون الموتورون، انتهزها فرصة لينهشوا من لحم الشيخ، ناسين أن لحمه سم زعاف.

وسالت أنهار الصحف بالكلام عن الشهادة والشاهد، ولم يعبأ الشيخ بما قيل ويقال.

حتى بعض الأقباط دخل في المعركة[1]، وهاجم الشيخ بوقاحة وسلاطة، مع أنهم كانوا من قبل لا يجترئون على أن يمسوا بكلمة علماء الإسلام!

وذهب وزير مسؤول إلى الشيخ في بيته ملحاً في الضغط عليه، ليصدر تصريحاً أو بياناً، أو يكتب كلمة ــ أو نحو ذلك مما يروق له ــ يفسر به موقفه بما يشبه التراجع عما قاله في الشهادة.

ولكن الشيخ أبى إلا أن يثبت على موقفه، وظل كالصخرة العاتية، التي تحطمت عليها كل تلك المحاولات، ولم تجد فتيلاً.

ولما ألح هذا المسؤول على الشيخ وكرر عليه القول مرة بعد مرة، قال له في صراحة وجلاء: أنا لم أكتب مقالاً في صحيفة، ولا ألقيت خطبة في جامع، ولا محاضرة في جمعية، ولكني استدعيت للشهادة أمام المحكمة، فشهدت بما أعتقد

---

(١) غالي شكري، في مجلة له في مقال طويل عن الشيخ الغزالي. (وغالي شكري تظاهر باعتناق الإسلام لاعتبارات مصلحية، ثم عاد يعمل الآن بضراوة مع الكنيسة ولا يستحي من الأغلبية المسلمة بل يستغل حالة الخضوع لأمريكا فشتم الإسلام والمسلمين كل أسبوع وكل شهر، ويستغل كل حدث لإحداث الفتنة الطائفية واحتقار الأغلبية المسلمة) (ع.ع).

أنه الحق الذي أدين الله به وألقاه عليه، فإذا كان في شهادتي بعض الغموض، فلتدعني المحكمة مرة أخرى، وأنا أشرح لها موقفي.

وبهذا حسم الأمر، ولم يعد هناك مجال للقيل والقال.

ولكن الصحافة لم تصمت، وخصوصاً بعد أن انضم إلى شهادة الشيخ: شهادة أ.د. محمود مزروعة رئيس قسم العقائد والأديان بكلية أصول الدين بالأزهر، والتي كانت أصرح وأشد من شهادة الشيخ، والتي اتهم فيها الشاهد فرج فوده بالردة صراحة، وقدم من كتبه ومقالاته ما يدل على ذلك للمحكمة.

ومن أهم ما نشرته الصحافة المصرية في الموضوع: ما أثاره الصحفي المعروف صلاح منتصر في جريدة الأهرام القاهرية.

أسئلة هامة للشيخ

في أهرام ١٨ يوليو فجَّر صلاح منتصر عدة أسئلة لفضيلة الشيخ الغزالي، نظراً لأهميتها نوردها ونورد الرد عليها من الشيخ، وخاصة أننا استشعرنا أن الأستاذ صلاح يحاول أن يضع فخاً للشيخ.. ولكن الشيخ الغزالي خرج من هذا المطب بسهولة متلحفاً بقواعد الشريعة. وهذا نص ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر في عموده اليومي[1]:

أسئلة إلى الغزالي

فضيلة الشيخ محمد الغزالي له منا كل احترام وتقدير.. بالإضافة إلى ما نعرفه عن عمله وجهده الكبير للقيام بدور الداعية، الذي يتمنى قوة المسلمين وخروجهم من مرحلة الضعف والهوان التي يمرون بها اليوم.

---

(١) نقلاً عن كتاب: محاكمة المرتدين، السابق ذكره.

ولقد كانت لفضيلة الشيخ الغزالي شهادة أمام المحكمة التي يمثل أمامها المتهمون باغتيال الدكتور فرج فوده، وحسنا تم نشر هذه الشهادة بالنص حتى نعرف على وجه الدقة ما قاله فضيلة الشيخ.. وإن كان أحد الزملاء (الأستاذ فهمي هويدي أهرام ٧/٦) قد وجد أن حديث الشيخ أمام المحكمة يحتاج إلى إيضاح للعامة، فكتب يحاول هذا الشرح تحت عنوان «حاشية على شهادة الغزالي». ولكن يبدو أن الحاشية في حاجة إلى حاشية.. وليس في الدين حرج كما تعلمنا.. كما أن الدين كدستور للحياة لا بد أن يصل إلى الناس ببساطة حتى وإن كان معقداً في بعض التفاصيل.. لكن مهمة الداعية أن يسهل لا يصعب، وهو ما يجعلني أرجو فضيلة الشيخ الغزالي ــ بعد أن قرأت شهادته، وبعد أن قرأت الحاشية التابعة لشهادته ــ أن يجيب عن هذه الأسئلة التي أتصور أن ملايين مثلي قد سألوها وينتظرون من فضيلة الشيخ الإجابة عنها.

إن أسئلتي يا فضيلة الشيخ هي:

١ ــ أي الدرجات أعلى في المعصية: الكافر أم المرتد؟

٢ ــ متى يكون الفرد كافراً ومتى يكون مرتداً؟

٣ ــ من الذي يملك تكفير فرد ومن الذي يملك الحكم عليه بالردة؟

٤ ــ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية وواضحة.. أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية ومغلقة؟

٥ ــ هناك بعض الدارسين من يشكك في حد الردة، ويقول: إن حد الردة ليس موجوداً صراحة في القرآن الكريم... فهل هذا صحيح؟

٦ ــ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم عن حرية العقيدة. واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

٧ ــ المعروف أن فضيلتكم اشتركتم في ندوة كان فرج فوده طرفاً فيها، وكان ذلك في معرض الكتاب في يناير من العام الماضي قبل اغتياله بنحو ستة أشهر، فهل كان قبولكم للاشتراك في هذه الندوة لمناقشة فرج فوده كمسلم أو محاولة استتابته كمرتد؟

٨ ــ حماية لأنفسنا وأبنائنا وشبابنا من الزلل، ما الذي ورد في كتابات فرج فوده يجعله في موضع الشبهة بالكفر أو الردة؟

فضيلة الإمام.. إن الدعوة ضريبة وفرض.. وأحسب أن تساؤلاتي هي أمانة في عنقك كداعية للرد عليها، مع كل تقديري واحترامي.

صلاح منتصر

رد من الغزالي

أبدأ أولاً وأشكر فضيلة الشيخ محمد الغزالي على سرعة استجابته بالرد على ما وجهته إلى فضيلته من أسئلة (أهرام الأحد ١٨/٧) .. وقد أرسلها لي مكتوبة بخط اليد مع مقدمة، بأمل نشرها كاملة دون تلخيص «فإني قمت عنكم بمهمة الإيجاز، وأحسب أن أي نقص في العبارة يفسد الرد.. وهذا ما لا يرضيكم» وهأنذا أنشر نص الرد كاملاً:

١ ــ أي الدرجتين أعلى في المعصية: الكافر أو المرتد؟

جواب: الكافر أقل سوءاً من المرتد. فإنني قد أشترك في عمل تجاري مثلاً مع كافر بالإسلام، يهودياً كان أو نصرانياً، وفي كلتا الحالتين يجب البر بهم وبذل الود لهم. أما المرتد فهو كخائن الوطن منبوذ مكروه، وقد استعمر الأوروبيون أرضنا ومحوا شرائعنا وشعائرنا، فمن انظم إليهم في عدواتهم.. فكيف نصادقه؟

٢ ــ متى يكون الفرد كافراً ومتى يكون مرتداً؟

جـواب: الكـافر امـرؤ خالي البال من تعاليم الإسلام. لعلها لم تبلغه أو بلغته ولم يقتنع بها. ولا سبيل لنا عليه إلا إذا اعتدى علينا. أما المرتد فهو رجل كان منا وعرف ما نحن عليه ثم رأى لمأرب خاص أن ينضم إلى خصومنا، وأن يؤيدهم بما يستطيع. أي أنه خائن غادر. أما إن كانت لديه شبهة عقلية فلا بد من إزالة شبهته ومحو ما يتعلق به من أوهام ولو ظل سنين على قيد الحياة.

٣ ــ من الذي يملك تكفير فرد أو الحكم عليه بالردة؟

جواب: أهل الذكر وحدهم.. أعني الراسخين في العلم، فإن اتهام فرد بالكفر جريمة، والإسلام دين مضبوط التعاليم. فمن استباح الخمر مثلاً وسخر من حرمتها، أو من ترك الصلاة جاحداً واستهزأ بشريعتها فليس بمسلم، بل هو ناقض للمجتمع، ومنكر للوحي وخارج على الأمة.

وسلطة الإتهام بالكفر محددة، وليست كلاً مباحاً لأي إنسان.

٤ ــ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية واضحة، أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية مغلقة؟

جـواب: قـلـنـا: إن فـقـهـاء الثقات وحدهم هم مصدر الفتوى. ورأيهم يكون واضحاً ومعلناً. إلا إذا كان الإسـلام مضـطـهـداً وحرية العمل به مصادرة. إن جو الحرية الرحب هو الذي يستطاع الأخـذ والـرد فيه، ولن تكون الحرية لطرف واحد بداهة، بل تضمن الحرية لجميع الأطـراف يـقولون ما لديهم في أمان.

وبقيـت أربعـة أسئلـة أخـرى سبـق أن وجهتهـا إلـى فضيلـة الشيـخ.. أكمـل بإذن الله غدا رده عليها.

صلاح منتصر

بقية رد الغزالي

في عمود أمس نشرت النص الكامل لما تضمنته رسالة فضيلة الشيخ محمد الغزالي رداً على أربعة أسئلة سبق أن وجهتها إليه، وفيما يلي بقية إجاباته عن أربعة أسئلة أخرى أنشرها بالنص دون انتقاص حرف واحد.. حتى علامات التعجب، فهي كما وردت في رسالة فضيلته:

٥ ــ هناك بعض الدارسين الذين يشككون في حد الردة.. ويقولون: إنه ليس موجوداً صراحة في القرآن الكريم فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم لم يرد في القرآن الكريم قتل المرتد[1]، وإنما وردت بذلك السنن الصحاح. وعندي أن جريمة الردة متفاوتة السوء والخطر، وقد تستحق القتل إذا ساوت ما نسميه الآن الخيانة العظمى، أو ما نسميه الخروج المسلح على الدولة. وقد تكون شبهة عارضة يكتفي فيها بالتوبة النصوح. وأمام القضاء تعرف الحقيقة، ويتحدد العقاب العدل، ويوزن خطأ كل فرد!!

٦ ــ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم من اعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

جواب: إن قلوب الناس إلى الله بيقين. ولكن لمسالكهم حدوداً وضوابط من وضع الله ذاته، وإلا سرت الفوضى بين الناس. فمن يدعو إلى ترك العلاقات الجنسية حرة، ويماري في جريمة الزنا وعقوبتها، لا يمكن اعتباره مسلماً؛ لأنه مخاصم لحكم الله وخارج عليه. ولذلك قال في ضرورة الطاعة التامة: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

---

(١) هذا ليس مسلَّماً، فبعض فقهاء السلف يرون آية الحرابة في سورة المائدة تشمل المرتدين؛ لأنهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً. انظر: بحثنا عن عقوبة المرتد في الفصل الأول من كتابنا: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.

فما العمل إذا لم يتب ويقم الصلاة ويؤت الزكاة؟ حكم الله واضح.

٧ ــ اشتركت في مناظرة مع فرج فوده لأني كنت طامعاً ــ إذا شرحت له الحق، وبسطت أدلته ــ أن أعود بالرجل إلى الإيمان، ولكني وجدته يكره الإسلام ونظامه، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء. أي أنه يؤيد حكم الإعدام الذي أصدره الاستعمار على شريعتنا وينحاز إلى أعدائنا بصراحة!!

هذا وقد أصدر نفر من علماء الأزهر كتاباً تضمن ما نسب إلى فرج فوده من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه.. ويستطيع الأستاذ صلاح منتصر أن يقرأ هذا الكتاب.. ذلك وأقول أخيراً: إنني رجل من الدعاة إلى الله، لا أتمنى إلا الحرية لي ولخصومي على السواء، وأكره العدوان والمشاكسة، ولكني أشكو من أن ديني يجار عليه، وينتقص منه ويحرم أهله ما يسمى في عصرنا بحقوق الإنسان، وأن المنتمين إلى هذا الدين في طور سيء من تاريخه، وتكاد تذهب كراماتهم الخاصة والعامة في مهب الرياح.

محمد الغزالي

عقوبته قتل المرتد

كان سؤالي الأخير إلى فضيلة الشيخ محمد الغزالي هو: **إذا قتل إنسان إنساناً آخر بحجة أنه كفر أو ارتد.. فما عقوبة؟ هل يقتل قصاصاً أم تعزيزاً، أم نقول ــ كما فهم البعض من شهادتكم أمام القضاء ــ بأنه لا عقوبة عليه؟**

وقد تلقيت شاكراً رد فضيلة الشيخ الغزالي.. وفيما يلي نصه كما أنقله من رسالته المكتوبة بخط يده:

«إذا ارتد أحد عن الإسلام رفع أمره إلى القضاء ليبت في مصيره وفق حكم الله.. وقد قلت: إن جريمته إذا ساوت الخيانة العظمى حكم القضاء بقتله. وتتقرر هذه المساواة في حالات شتى نذكر منها: التهوين من شأن القرآن والطعن في

مكانته، وجحد الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة والدعوة إلى تركها، واستباحة الكبائر وطلب فتح حانات الخمور ومواخير البغاء.. والسخرية من الحدود الشرعية، وإهانة الرسول ﷺ، إلى آخره.. فإذا أعلن المرتد توبته وأصلح نفسه سقط الحد عنه.. وعاد مسلماً كما كان.. وليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير فذلك للقضاء، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد افتأت على السلطة.. وهنا يقوم القضاء بتعزيره حسب ما يصون المصلحة العامة وهيبة القضاء.

وليست هناك عقوبة محددة لهذا المسلك.. بيد أننا نلفت النظر إلى أن التهاون في معاقبة المرتدين يفتح باب الفوضى. ومعروف أن هناك من ارتد وبسطت عليه بعض الحكومات حمايتها كسلمان رشدي، واعتقادي أن حكومتنا ترفض هذا السلوك، وأن قضاءنا ــ مع غيبة التعاليم الإسلامية ــ سيمنع هذه الفوضى، ويصون حق الله سبحانه في ذلك، ولكم الشكر على سعة صدركم وكريم خلقكم».

محمد الغزالي

ولعلنا بعد نشر نص الرسالتين اللتين تضمنتا رد فضيلة الشيخ الغزالي على ما وجهته إليه من أسئلة نفتح الباب لمن يريد التعليق.. راجياً ممن يقول رأيه مراعاة القراءة الجيدة لكلمات الشيخ، ولا مانع من إعادة قراءتها مرة وأكثر حتى لا يختلط عليه الأمر ويعلق على معنى لم يقصده، وأن يكون الحديث موضوعيا وموجزاً كلما أمكن، وأن يتم في إطار الاحترام الكامل للشيخ.. فقد نتفق أو نختلف على بعض ما يقول، ولكننا بكل العفة والموضوعية نتحاور ونتبادل الأفكار.

صلاح منتصر

خاتمة

لقد طالت هذه الدراسة وطالت أكثر مما كنت أتوقع لها. وما حيلتي إذا كانت المادة غزيرة، ومجال القول ذا سعة؟

لقد كنت أعرض الفكرة وأريد أن أستشهد لها من كلام الشيخ الغزالي، فأجد أمامي بدل النص اثنين وثلاثة وأربعة وأكثر، كلها يتناول الموضوع الواحد بأساليب مختلفة، وصور متنوعة، وكلها معجب ورائع، فيحتار المرء: أيها يأخذ، وأيها يدع، وكم يأخذ منها، وكم يترك؟

وكنت أوثر دائماً أن أعبر عن أفكار الشيخ ما استطعت بقلمه لا بقلمي، وبكلامه لا بكلامي، فقلمه أبلغ، وكلامه أبين وأروع، وأدل على المقصود الذي أنشده. ومن هنا نقلت فقرات طويلة أحياناً من كتبه تعبر عما أريد. وأعتقد أن قارئي اليوم سيفرح وينشرح صدره عندما يقرأ هذه الفقرات في موضعها اليوم، وإن كان قد قرأها من قبل في كتب الشيخ.

والحق أن هذه الدراسة أثبتت أننا أمام قائد كبير من قادة الفكر والتوجيه، وإمام فذ من أئمة الفكر والدعوة والتجديد. بل نحن أمام مدرسة متكاملة متميزة من مدارس الدعوة والفكر والإصلاح، لها طابعها، ولها أسلوبها، ولها مذاقها الخاص. وتحتاج إلى دراسات عدة لإبراز خصائصها ومواقفها وآثارها. فليس الغزالي ملك نفسه، ولا ملك جماعة أو حركة، ولا ملك قطر أو شعب، بل هو ملك الأمة الإسلامية جمعاء.

نحن أمام عالم مفكر حر، عاش عمره كله للإسلام، لا يشرك به شيئاً آخر، ونذر له فكره وقلبه، ولسانه وقلمه، وجهاده واجتهاده، وخاض معارك حياته كلها

تحت راية الإسلام، رافضاً كل راية جاهلية، بأي اسم ظهرت، وتحت أي عنوان تزينت للناس، متخذاً شعاره: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

لم يتخذ غير الله ولياً، ولم يبتغ غير الله حكماً، ولم يبغ غير الله رباً، وهو رب كل شيء.

لقد عاش الشيخ بشعور يغمره ويملأ فؤاده ووجدانه أبداً: أنه حارس من حراس هذا الدين الأيقاظ، ولا ينبغي أن يؤتي الدين من قِبَله وتفريطه، بل يجب أن يتنبه دائماً لأعدائه في الداخل والخارج، وأن يقف لهم بالمرصاد مدافعاً ذائداً، بل مقاتلاً مهاجماً، فخير وسائل الدفاع الهجوم، لا يلقى السلاح، ولا ينشد الراحة، ومعركة المصحف في العالم الإسلامي قائمة، والحرب على الإسلام وأمته دائرة، والدم الإسلامي مستباح، وأكثر الموكلين بالحراسة يغطون في نوم عميق، أو مشغولون بالجدل حول فروع المسائل، وصغائر الأمور!.

لقد كتبت الأقدار على الشيخ أن يحارب في جبهتين واسعتين:

الأولى: جبهة الخصوم الكائدين للإسلام، المتربصين به الشر، الكارهين لانتشار أنواره وعودته إلى قيادة الحياة من جديد.

بعض هؤلاء من خارج الإسلام، وخارج أرضه من القوى العالمية التي تخافه أو تبغضه: من اليهودية والصليبية والشيوعية والوثنية، الذين اختلفت دياناتهم، واختلف طرائقهم، ولكن اتحدت أهدافهم على ضرب الإسلام، ووقف مسيرته، ووضع الأحجار والعثرات في طريقه. وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩].

وبعض آخر ــ للأسف الشديد ــ من داخل أرض الإسلام، بل من أبناء المسلمين أنفسهم، وممن يحملون أسماء المسلمين: محمد وأحمد وحسن وحسين، وعمر وعلي.. ولكنهم لا يضمرون للإسلام إلا شراً، ولا لدعاته إلا

عداوة، ولا لشريعته إلا تنكراً. . وربما عادوه؛ لأنه ضد شهواتهم المحرمة، وضد مظالمهم المفترسة، وضد مصالحهم الآثمة، وضد مطامعهم الفاجرة.

والجبهة الثانية: جبهة (الأصدقاء الجهلة) للإسلام، الذين يضرون الإسلام أبلغ الضرر من حيث يريدون أن ينفعوه، يهشمون وجهه من حيث يظنون أنهم يدفعون ذبابة عنه! هؤلاء الذين سماهم الشيخ (الدعاة الفتانين) الذي يشغلون الناس بالفروع عن الأصول، وبالجزئيات عن الكليات، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه، وبأعمال الجوارح عن أعمال القلوب.

إنه يشكو من دعاة أغلبهم نكبة على الإسلام، وقذى في عينه! إنهم لا يقرؤون ولا يعانون، والقليل من الحقائق لديهم لا يضعونه في موضعه الصحيح، وعلل الأمة لا تلقي منهم أساة ولا بكاة؛ لأنهم مشدودون إلى جدليات الماضي السحيق، ولا يدركون ماجدّ حولنا، ولا الطفرات الهائلة التي قفزت بها الحياة على أرضنا.

وإذا كان الجسم المصاب بفقر الدم يسقط في أول مراحل الطريق، فالعقل المصاب بفقر المعرفة أعجز من أن يلاحق مطالب الجهاد، أو يلبي حاجات الحق.

إن مكمن الخطر على مستقبل الإسلام ومستقبل أمته وصحوته، تكمن في هؤلاء الذين وجه إليهم الشيخ جل كتبه في المرحلة الأخيرة، عساهم أن يتعلموا من جهل، وينتبهوا من غفلة، وينتبهوا عن الإعجاب بالرأي، والازدراء للغير، وأن يتعلموا الذلة على المؤمنين، والتوقير للكبار، والرحمة للصغار.

يقول الشيخ: «والخطورة تجيء من أنصاف متعلمين أو أنصاف متدينين، يعلو الآن نقيقهم في الليل المخيم على العالم الإسلامي، ويعتمد أعداء الإسلام ــ في أوروبا وأمريكا ــ على ضحالة فكرهم في إخماد صحوة جديدة لديننا المكافح المثخن بالجراح.

إن الحضارة التي تحكم العالم مشحونة بالأخطاء والخطايا، بيد أنها ستبقى حاكمة مادام لا يوجد بديل أفضل!.

هل البديل الأفضل جلباب قصير ولحية كثة؟ أو عقل أذكى، وقلب أنقى، وخلق أزكى، وفطرة أسلم، وسيرة أحكم؟.

لقد نجح بعض الفتيان في قلب شجرة التعاليم الإسلامية، فجعلوا الفروع الخفيفة جذوعاً أو جذوراً، وجعلوا الأصول المهمة أوراقاً تتساقط مع الرياح!

وشرف الإسلام أنه يبني النفس على قاعدة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وأنه يربط الاستخلاف في الأرض بمبدأ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١][1].

وهذا ما يخيف الشيخ الإمام ويثير فزعه على غد الأمة. يقول سدده الله:

«لقد خامرني الخوف على مستقبل أمتنا لما رأيت مشتغلين بالحديث ينقصهم الفقه، يتحولون إلى أصحاب فقه، ثم إلى أصحاب سياسة تبغي تغيير المجتمع والدولة على نحو ما رووا ورأوا..!!

إن أعجب ما يشين هذا التفكير الديني الهابط هو أنه لا يدري قليلاً ولا كثيراً عن دساتير الحكم، وأساليب الشورى، وتداول المال، وتظالم الطبقات، ومشكلات الشباب، ومتاعب الأسرة، وتربية الأخلاق.. ثم هو لا يدري قليلاً ولا كثيراً عن تطويع الحياة المدنية، وأطوار العمران لخدمة المثل الرفيعة، والأهداف الكبرى التي جاء بها الإسلام.

إن العقول الكليلة لا تعرف إلا القضايا التافهة، لها تهيج، وبها تنفعل، وعليها تصالح وتخاصم! هززت رأسي أسفاً وأنا أرمق مسار الدعوة الإسلامية!

إن الرسالة التي استقبلها العالم قديماً استقبال المقرور للدفء، واستقبال المعلول للشفهاء، هانت على الناس فلم يروا ما يستحق التناول، وهانت على

---

(١) السنة النبوية: ص ٨.

أهلها فلم يدروا منها ما يرفع خسيستهم ويحمي محارمهم»[1]!!

في مقدمة كتابه: (الإسلام في وجه الزحف الأحمر) كتب الشيخ يقول:

رأيت أن أكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية، وأودعتها صرخات قلب غيور على دينه، شفيق على أمته. وأعرف أنني بكتابتها سأتعرض لعداوات مميتة!! ولكن بئست الحياة أن تبقى ويفنى الإسلام!!

وفي مقدمة كتاب: (قذائف الحق) قال الشيخ:

أعداء الإسلام يريدون الانتهاء منه، ويريدون استغلال المصائب التي نزلت بأمته، كي يبنوا أنفسهم على أنقاضها.

يريدون بإيجاز القضاء على أمة ودين.

وقد قررنا نحن أن نبقى، وأن تبقى معنا رسالتنا الخالدة، أو قررنا أن تبقى هذه الرسالة، ولو اقتضى الأمر أن نذهب في سبيلها، لترثها الأجيال اللاحقة! إلى أن يقول في نهاية المقدمة:

إن الله أخذ على حملة الوحي أن يعالنوا به، ويكشفوا للناس حقائقه. وأكد عليهم ذلك في قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فما بد من البيان وعدم الكتمان.

واعلم أن ذلك قد يعرض لمتاعب جسام، ولكني أقول ما قال صديقنا عمر بهاء الدين الأميري:

الهول في دربي وفي هدفي ... وأظل أمضي غير مضطرب!
ما كنت من نفسي على خور ... أو كنت من ربي على رِيَب!
ما في المنايا ما أحاذره ... الله ملء القصد والأرب!

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

صدق الله العظيم.

---

(١) هموم داعية: ص ٥٥.